دور الأدباء الجزائريين في الثورة التحريرية من خلال مجلة دعوة الحق المغربية (1957-1962م)

أ.خي عبد الله

جامعة أدرار

الملخص:

ساهم أدباء الجزائر من شعراء وكتاب وروائيين في الثورة التحريرية، وعبرت اقلامهم عن هموم هذا الشعب ومعاناته من جهة، ومن جهة أخرى تحديه لهذا الواقع المرير وطموحه كغيره من شعوب العلم للتحرر ونيل الاستقلال من المستعمر

واعتبرت وسائل الاتصال الجماهرية خاصة المجلات والجرائد المتنفس الكبير لهؤلاء الأدباء ، ولم يبخل أشقاء الشعب الجزائري في فتح صحفهم للأقلام الجزائرية، ومجلة دعوة الحق المغربية واحدة من المجلات التي قدمت خدمات كبيرة في هذا المجال، إذ فيها تفجرت ملكة الأدباء وكانت سبيلاً من السبل التي أوصلت القضية الجزائرية إلى الشعب المغربي وباقي من وصلتهم نسخ من هذه المجلة.

ولعل الدور الذي قدمه أدباء (النثر والشعر)الجزائريين كمفدي زكريا، ومحمد ديب، محمد العيد آل خليفة، أحمد رضا حوحو وغيرهم، بعد البساط الذي حرك شعوب العالم الحر ليكتبوا عن مآسي الجزائريين، وعن ضرورة تقديم المساعدة لهم منجهة ، ومن جهة أظهرت للعالم أنّ الشعب الجزائري له قيم ومبادئ وتاريخ وهو لايمكن طمسه ولو انفقت فيه الأموال واستخدمت الأسلحة المدمرة والجيوش الجرارة.

Résume

En adoptant la publication des poèmes et des révolutionnaires, la revue "Daawat Elhaq" a orienté la révolution vers une direction, qui n'est pas moindre de l'aspect révolutionnaire armé, et qui le domaine de la seience et de la littérature.

Parler de la littérature engage c'est parler de la littérature qui met en avant l'expérience de l'écrivain, cette dernière permet de faire ressentir sa douleur et sa souffrance à travers des écrits expressifs qui n'étai eut pas reconnais par la colonisation car elle disait qu'en Algérie, la littérature n'existe pas. Mais la vérité prouve le contraire, il existe une seule littérature algérienne écrite dans les deux langues (arabe et français).

De ce fait, la crise algérienne a influencé la littérature française, en particulier du coté moral et humain.

Et c'est ainsi que la littérature a participé considérablement au succès de la révolution algérienne comme tant d'autres moyens matériels.

مقدمة:

تمثل مرحلة الثورة الجزائرية حقبة بالغة الأهمية تتميز بأزمة عميقة في الفلك الثقافي الجزائري حيث كانت سنواتها الأولى شاهدة على تأرجح المجتمع الجزائري بعد أن نخره التطور الاستعماري مجتمع يحكمه قانون التبعية الأهلية، مجتمع مفكك البني عاجز عن المقاومة الفعالة لهيمنة سلطة الدولة الاستعمارية, وتظهر العناصر الأولى من أنتلجنسيا جديدة ترتب جزئيا على الأقل في الجهاز الثقافي الاستعماري يتنازعها الغرب الذي يفرض نفسه ماديا والفكر الإسلامي العربي الذي لازال المحرك للمجتمع الجزائري, لذا فهي أنتلجنسيا هشة حاولت استبدال المقاومة الجريئة في رفضها القبول بالأمر الواقع بنمط جديد من المواقف والتصرفات وسلوك موارب يفضي بالتخلي عن ساحة المجابهة المباشرة للاستعمار ونقل الصراع إلى الجبهة المطاطة حيث استبطان القيم الاستعمارية ثم نقلها ونشرها لإقامة مجتمع جديد, وكانت الصحافة أولى السبل التي سلكها أصحاب هذا الاتجاه للتعبير عن آرائهم وأفكارهم.

وقد كان للصحف المغربية وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية بها؛ وذلك من خلال ما كانت تقوم به بعض الصحف من متابعة مسيرة النهضة الأدبية في الجزائر, وفتح صدرها لبعض الأدباء الجزائريين لينشروا بعض أعمالهم يبعضها (ك : العلم ودعوة الحق) وغيرهما.

وبفضل ما أتاحت الصحف المغربية من مجلات للتعبير والكتابة بالنسبة للجزائريين ظهرت النواة الأولى للأدباء والكتاب والشعراء الذين كانت ولادتهم الأدبية في الصحف والمجلات المغربية التي تبنت سر إنتاجهم المبكر وتشجيعهم على الكتابة وتحريضهم يكل الوسائل على تناول القضايا الوطنية الجزائرية والتعريف بنضال شعبهم, بل إن دور النشر المغربية كان لها بعض فضل السبق في تبني نشر هذا الإنتاج, وعلى صفحات الجرائد والمجلات المغربية انطلق الأدباء الجزائريون يعانون معطيات الحياة الجديدة, ويصورون قضايا الواقع ويعبرون عن تطلعات المجتمع, فكان العالم الذي يستولي على اهتماماتهم, ويغلب على إنتاجهم إنما هو عالم الوطن, وعالم الأمة, وكل ما يتصل بهما ويتفرع عنهما من قيم ومقومات وقضايا واهتمامات, وكان صوت الوجدان الجماعي لدى هؤلاء الأدباء أقوى من صوت غيره في نفوسهم مما يسخرون أعمالهم للنهوض بالواقع والتعبير عن قضاياه, ويمكن تلخيص ذلك في هذه المحاور:

_ الانصراف عن الأغراض الذاتية الضيقة والالتزام بالتعبير عن الوجدان الجماعي للأمة .

_ الاندماج في الواقع الوطني والعمل من أجل النهوض بالمجتمع وترقيته وإصلاح حاله: عقيدة وفكرا, علما وعملا.

_ الحض على الاستمرار في حركة الجهاد لإفشال الخطط التغريبية إزاء عناصر الهوية الحضارية المعتدى عليها والمنافحة عن الحقوق الوطنية.

_ مواكبة مسيرة العمل الوطني والثوري, وحث الشعب على الالتفاف حولها وتصوير ملامحها والتلويح ببشائر النصر على فلول المعتدين.

_ التعاطف مع قضايا الأمة العربية الإسلامية, والمشكلات الإنسانية, ويمكن أن نميز في هذه الاهتمامات جملة من المضامين من بينها: البعد الديني, البعد الوطني, البعد الاجتماعي والثوري, البعد القومي والإنساني.

وعليه فقد أثارت الثورة التحريرية الجزائرية (1954–1962م) حبر أقلام المؤرخين والباحثين والأدباء، لِما تميزت به من تنظيم سياسي وحراك عسكري، واعترف بقوتها العدو قبل الصديق، وفي الوقت الذي اختار فيه بعض الجزائريين حمل السلاح، فإنّ البعض الآخر اختار القلم والقرطاس ليوصل واقع هذه الثورة ومبادئها إلى الشعب الجزائري في الداخل على الخصوص، وباقي شعوب العالم على العموم.

وإذا كانت الثورة الجزائرية قد اهتمت كثيرا بالجانب الإعلامي من خلال الإذاعات[1] والمناشير[2] والجرائد[3] التي كانت تشرف عليها، فإنّ بعض الصحف والمجلات المغاربية كانت المتنفس لكثير من الأدباء الجزائريين، ونحن في مقالنا هذا سنختار مجلة دعوة الحق المغربية كنموذج لهذا المتنفس، الذي اعتمد عليه الأدباء والشعراء الجزائريين وغير الجزائريين من أجل إيصال قضية الجزائر العادلة لجميع أحرار العالم .

ومن خلال ما سبق ذكره سنحاول الإجابة على التساؤلات التالية: ما مدى مساهمة مجلة دعوة الحق في خدمة الثورة التحريرية؟ وإلى أي حد ساهمت هذه الأقلام في إبلاغ صدى الثورة إلى الرأي العام؟

تعتبر مجلة دعوة الحق من المجلات الرائدة والمعروفة في المغرب الأقصى لما تميزت به من تنوع في المواضيع بصورة عامة واهتمام بالقضايا التحررية في العالم العربي بصفة خاصة، وقد صدر أول عدد للمجلة في شهر ذو الحجة 1376هـ/يوليوز (جويلية) 1957، وهي مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية وبشؤون الثقافة والفكر، وتصدرها وزارة عموم الأوقاف بالرباط، ومما يدل على مكانتها هو ذلك التقديم الذي حظيت به المجلة من قبل صاحب الجلالة الملك محمد الخامس.[4]

---

[1] مثل الإذاعة السرية التي بدأت البث سنة 1956 بجهاز إرسال من نوع PC160 متنقل عبر شاحنة أمريكية من نوع GMC وكانت تبث من الريف المغربي خاصة مدينة القنيطرة، ويعود الفضل في التسيير لصاحب الشاحنة رشيد زقار، وشلة أخرى مارست التعليق وتقديم الأخبار كمدني حواس، عبد المجيد مزيان، رضا بن الشيخ وغيرهم، ومن التقنيين عبد الرحمان الأغواطي، وقد واصلت البث رغم محاولة فرنسا معرفة مكان تواجدها لقصفها، ثم استقرت الإذاعة في مدينة الناظور، كما استغلت إذاعة تونس لبث صوت الجزائر من تونس، وهكذا أظهر أبناء الجزائر براعتهم في الجانب الإعلامي. للتوسع في أهم الإذاعات التي اعتمدتها الثورة أنظر: الأمين بشيشي، "دور الإعلام في معركة التحرير"، الثقافة (عدد خاص)، السنة التاسعة عشر، العدد 104، سبتمبر–أكتوبر 1994، ص53–73.

[2] يعتبر بيان أول نوفمبر أول منشور لجبهة التحرير الوطني، وقد كانت تصدر مناشير أخرى في الولايات إلاّ أنّ أغلبها اندثر ولم تعرف لهم إلاّ بعض الأسماء، منها "الجبل"، "الفدائي"، "صدى الثورة". بشيش، مقال سابق، ص74، 75.

[3] من الجرائد نجد "جريدة المقاومة الجزائرية" التي كانت تصدر بثلاث طبعات حيث صدرت طبعتها الأولى في باريس وكانت بالفرنسية، والطبعة الثانية تصدر من مدينة تطوان المغربية، والثالثة تصدر من تونس، وفي جوان 1957 أمرت قيادة الثورة بوقف طبعات الجريدة الثلاث وعوضت بجريدة المجاهد. نفسه، ص75–76.

[4] للاطلاع على أول إصدار للمجلة وتقديم جلالة الملك أنظر: واجهة مجلة دعوة الحق، العدد الأول، ذو الحجة 1376هـ/يوليوز 1957م، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المملكة المغربية، ص4.

اهتمت مجلة (دعوة الحق) بالإضافة للتعبير عن الجانب السياسي للثورة الجزائرية، بالجانب الفكري والثقافي والأدبي لها، مثل شعر صالح الخرفي الملقب بأبي عبد الله الجزائري، الذي نشرت قصيدته المعنونة بتحية الجزائر وكان قد ألقاها في مهرجان الشعر بمناسبة انعقاد الدورة الرابعة لمؤتمر الأدباء العرب بالكويت جاء مطلعها:

من منبر (الأوراس) حي المجمعا فالضاد والرشاش قد نطقا معا

فانظر هنا تجد البطولة منبرا وتر البطولة في الجزائر مدفعا

إلى أن قال:

ثرنا، ولكن لا لقطر واحد ثرنا لأقطار العروبة أجمعا

وفي ختام قصيدته قال:

بشر عروبتنا بفجر باسم وعلى ليالي الظلم كبر أربعا[1]

من خلال الأبيات نستشف أن الشاعر الجزائري صالح الخرفي قد أوصل صوت الثورة للخارج مركزا في ذلك على المنطقة الأولى التي انطلقت منها شرارة الثورة التحريرية المباركة وهي الأوراس، ثم دعي للانتماء العربي بدلا من القطرية الضيقة، وفي الختام طمأن القلقين على عروبة الجزائر واستقلالها بأن العربية متأصلة في قلب كل جزائري، ونهاية الاستعمار قريبة.

وفي الوقت الذي كانت أشعار الخرفي تنشر أفكار الثورة بأسلوب أدبي رائع وبكلمات ثورية هادفة، كانت قصائد شاعر الثورة مفدي زكريا تتبع مراحل الثورة وكفاح الشعب بأبيات تعبر عن حال الثورة والمجاهدين من جهة، وعن مآسي ومعاناة الشعب الجزائري وضرورة توحده إذا أراد القضاء على الاستعمار الفرنسي نهائيا من جهة أخرى فمثلا يقول في قصيدة بعنوان : " بسوى وحدتي لا أغني "

أنا حطمت مزهري...لاتسلني...وسلوت ابتسامتي .. لاتلمني

أنا من خلد الجزائر في الدنيا ومن لقن ابنها كيف يبني

كنت للوحدة النداء المدوي كيف للخلق أرهق اليوم أذني ؟

وطن المعجزات أنت.. فحقق وحدة الشعب دون ضعف ووهن

فرحتي.. وحدتي, وشعري ضميري, بسوى عيد وحدتي..لا أغني[2]

كما يفتخر مفدي زكرياء بأمته وبعروبتها ويبين حبه وتعلقه الشديد بوطنه في قصيدة بعنوان :

---

[1] صالح الخرفي، "تحية الجزائر"، مجلة دعوة الحق، أبريل 1959/رمضان–شوال 1378هـ، ع7/ص66، 67.

[2] مفدي زكرياء,"بسوى عيد وحدتي لا أغني", دعوة الحق, السنة الخامسة، صفر 1382 /يوليوز1962، ع10/ص68، 69.

"هنيئا بني أمي"

على نبضات الشعب, وقعت ألحاني ومن نشوة التحرير, لحنت أوزاني

وأنشدت في أفراح شعبي, وترحه روائع, لم يصدع بإعجازها, ثاني

وخلدت في مجد العروبة صفحة وسمت على عنوانها وجه قحطان

إلى أن يقول:

وتيمني حب الجزائر, فارتوى نشيدي في الساحات, من دمها القاني

وفي المغرب الجبار, ناشدت وحدة سبقت بها_ في فجر عمري _ أقراني

سنمضغ ياديغول, جيشك لقمة فجيش فرنسا, من فصيلة خرفان

ونحفر, ياديغول, قبرا بأرضنا لمن جهلت أحفادهم(دار لقمان)

بلادي عرفت الله, في قسماتها وآمنت أن الله ليس له ثاني[1]

فهو يتوعد الجنرال ديغول بما ينتظره من قبل الشعب الجزائري الموحد.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "ثقة الشعب ذمة فارقبوها" يعرج على موضوع وحدة المغرب العربي الكبير قائلا:

صدق الوعد... فاطفحي يابشائر ودنا السعد... فامرحي ياجزائر

ياسماء اقلعي... ويا أرض غيضي واسم ياعقل.. واخلصي ياضمائر

أينع الغرس من رماد الضحايا ونما الزهر من رفات المقابر

شرعة المغرب الموحد, ديني بسوى دين وحدتي, أنا كافر

ثقة الشعب ذمة فارقبوها واحذروا الشعب, يوم تبلى السرائر

إن فعلتم... فالمجد, للمغرب الجبار, والعز والبقا للجزائر[2]

كما يبين أن العز الحقيقي هو في حصول الجزائر على استقلالها حيث جاء على لسانه:

"فلا عز حتى تستقل جزائر "

مددنا خيوط الفجر...قم نصنع الفجرا وصغنا كتاب البعث.. قم ننشر السفرا

وغصنا بصدر الغيب نجلو ضميره ونقرأ من عدل السماء, به سطرا

تباركت شهرا بالخوارق طافحا وسبحان من بالشعب في ليله أسرى

فكم كنت يارحمان في الشك غارقا فآمنت بالرحمان في الثورة الكبرى

وأشربته حب الشهادة فارتمى على غمرات الموت, تلهبه الذكرى

---

[1] مفدي زكرياء, "هنيئا بني أمي", دعوة الحق, السنة الخامسة، ذوالقعدة 1381/أبريل1962، ع7/ص69-71.

[2] مفدي زكرياء,"ثقة الشعب ذمة فارقبوها", دعوة الحق, السنة الخامسة، شوال1381/ مارس 1962، ع6/ص72-74.

فرنسا أضاعت رشدها يوم أسلمت قيادتها ديغول يحكمها قهرا
تدحرجه (هستيريا) الحكم للفنا ويدفعه مس الجنون إلى العسرا
خراب وفوضى, وانحلال, وأزمة به سرطان الموت في دمها استشرى
فلا عز حتى تستقل جزائر ولا مجد حتى نصنع الوحدة الكبرى[1]

ثم يلخص مفدي زكرياء كلامه السابق في أن الشعر ورسالته مقدسة قداسة الوطن وأنه يمكن للشعر أن يكون ملهما للشعوب ومنبها للعقلاء كي يذودوا عن حياضهم كل مستدمر بغيض فيقول في قصيدة رائعة عنوانها "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة" ألقاها بدمشق جاء فيها:

سل العروبة...هل ضجت لبلوانا وسل أمية .. هل رجت لشكوانا؟
وياذرى الشام...هل هاجت مواجدنا فبارك الشعر في ناديك لقيانا؟
ويادمشق..هل ابتلت جوانحنا يعد التأني الذي قد كان أضنانا؟
رسالة الشعر في الدنيا مقدسة لولا النبوءة كان الشعر قرءانا
فكم هتكنا بها الأستار مغلقة وكم غزونا بها في الغيب أكوانا

إلى أن يقول:

ويل القوي من المستضعفين إذا حان القصاص.. ودانتنا خطايانا
الخير والشر في هذا الورى دول اصنع جميلا.. تجد عدلا وإحسانا[2]

ولمفدي زكريا قصيدة رائعة بعنوان"آمنت بالشعب فردا لا شريك له" بيّن فيها ضرورة توحد الشعب الجزائري إذا أراد النصر والانتصار على فرنسا التى عتت في الأرض فسادا فيقول:

لأي حج هنا تنصب بلدان ؟ وأي أرض لها ترتج أكوان؟
وأي عيد له الأجيال شاخصة وأي حفل تجلى فيه قحطان
هي الجزائر.. صدر الغيب أطلقها لما تفجر بالعملاق بركان
هي الجزائر.. وعد الله أنجدها لما استخف بوعد الله طغيان
وتلك ألوية للنصر خافقة (ثالوثها) عن ضمير الشعب عنوان
أرض بها بسمات الرب مشرقة كأنها عن جمال الله برهان
آمنت بالشعب فردا لا شريك له ما في حمى الشعب أسياد وعبدان
له السيادة في قول وفي عمل وللسياسة إصغاء وإذعان

---

[1] مفدي زكرياء, "قلا عز حتى تستقل جزائر", دعوة الحق, السنة الخامسة، جمادى الثانية 1381/دجنبر 1961، ع3/ص 66-69.

[2] مفدي زكرياء, "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة", دعوة الحق, السنة الخامسة، جمادى الأولى1381/نوفمبر 1961، ع2/ص64-67.

ثم يتحدث الشاعر مفدي زكرياء عن القضية الفلسطينية وماتعانيه كأختها الجزائر ويستنفر الجميع خاصة العرب من أجل نصرتها والوقوف إلى جانبها فيقول:

هنا فلسطين.. تمتد انطلاقتها إن كان في العرب أنصار وأعوان

ونحن للوحدة الكبرى دعامتها إن كان في العرب تفكير وميزان[1]

كما كان هناك شعراء من المغرب الشقيق كمحمد الحلوي، ومحمد العربي الخطابي، وأحمد مراد، الذين حاولوا أن يتقاسموا مع إخوانهم الجزائريين همومهم لأنهم مروا بنفس المرحلة وهم يعرفون جيدا معنى الاستعمار وسلب الحرية، أما القصص فنشرت مجلة دعوة الحق قصصا لكاتب ياسين ومولود فرعون ومحمد ديب وحنفي بن عيسى.

إن مجلة (دعوة الحق) جعلتنا نعيش مع نوع آخر من الثورة ومع صنف من الأبطال الذين لم يجرد أي منهم الحسام ضد العدو، ولا استعمل في ثورته البندقية أو المدفع الرشاش، ولكن كل منهم صال وجال في ميدان أعظم خطرا وأبلغ أثرا من استعمال السلاح المادي بمفرده، ذلك إذا هو ميدان العلم والأدب، والتوجيه الصالح ونشر الوعي القومي بين الأفراد والجماعات وإعداد الأمة لليوم المنتظر: " إن الحديث عن أدب الجزائر حديث عن الأمجاد والأبطال وإحياء لصفحات قدسية كتبت بالدم والنار قبل أن يخطها القلم ولا يكاد الباحث أن يطرقه حتى يشعر بهزة تعروه ودهشة وإكبار تتملكه فتجعله ينحني أمام الإرادة الصلبة وإحياء هذا التراث، فجلاء التراب عن المعدن الأصيل هو جزء لا يتجزأ من القضية الوطنية الكبرى التي يتحملها كل عربي صادق الإيمان والشعور، وأي حديث عن الفكر الجزائري هو استمرار لمعركة التحرير ضد الغزو العقلي"[2]

إن هذه الطريقة المتبعة من قبل مجلة (دعوة الحق) المغربية في نشر الشعر والقصص الثوري، هو ما دأبت عليه جريدة (المجاهد)[3] الجزائرية التي تعد الجهاز الإعلامي الرسمي للثورة الجزائرية – فكانت تنشر قصة قصيرة تحت عنوان "من الأدب الثوري" وكانت تختارها غالبا من

---

[1] مفدي زكرياء, "آمنت بالشعب فردا لاشريك له", دعوة الحق, السنة السادسة، رجب 1382/ ديسمبر 1962، ع3/ص 51-53.

[2] جمال البغدادي القادري، "لمحات حول الفكر الجزائري المعاصر"، دعوة الحق، جوان– جويلية، 1961، ع9-10/ ص 46.

[3] جريدة المجاهد: بدأت صدورها في الجزائر جوان 1957، و بعد صدور العدد السادس منها اكتشفت فرنسا مكان صدورها فقامت بإتلاف المطبعة و صادرت الوثائق الموجودة فيها، ثم تغيّر مكان صدورها حيث خرج العدد الثامن في مدينة تطوان المغربية، و بعد صدور ثلاث أعداد انتقل مكان صدور الجريدة لتونس. بشيشي، مقال سابق، ص77.

الأدب الصيني أو الفيتنامي وأحيانا من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، وتدور أحداثها في أغلب الأحيان حول كفاح الشعوب وخاصة في الريف ، حيث تستمد الثورات وقودها.

وقد اهتمت (المجاهد) بصفة خاصة بنشر بعض فصول الأدب الفيتنامي التي تمثل كفاح شعب فيتنام ضد الفرنسيين[1] .

إن (دعوة الحق) تدعو دعوة صريحة المثقف و المفكر الجزائري إبان الثورة أن يعمل من أجل الانتصار على العدو الغاشم في ميدان غير المعركة المادية ، وهو تحرير الجزائري العربي والفكر المغربي بصفة عامة من ظلم المعتدين: " فالمعركة المادية كسبناها أو نكاد، وبقي علينا أن ننتصر أيضا في ميدان آخر لا يقل خطورة، هو ميدان الفكر العربي المغمور والعبقرية الجزائرية المغتصبة "[2].

إن أدب الثورة هو الأدب الحسي الذي تجلت فيه تجربة الأديب، لأن الألم وأدب الأمل هما وتران يرددان أبلغ وأبدع الألحان، فمفدي زكريا مثلا يعد من أعظم هؤلاء الأدباء الذين تجلت ذاتيتهم على هذه الأحاسيس الدفينة، والتي تنتمي إلى صميم الإنتاج الأدبي ، الذي زعم الاستعمار أنه لا وجود في الجزائر لأدب خاص بها: " إن الموجود هو أدب جزائري فرنسي لا يكاد ينفصل عن الأدب الفرنسي العام ما دام فرنسي اللسان، فما أكبرها كذبة، وما أقبحها فرية "[3].

1- أدب الثورة الجزائرية:

إن الذي لا يمكن إنكاره حقيقة هو أن الأدب الجزائري وقع في انفصالية محرجة، لكن خطورة هذا الأمر لا ترقى إلى الدرجة التي يتصورها الاستعمار والأدلة على ذلك تكمن في النقاط التالية:

– إن الأدب الجزائري الصميم لا يؤدى إلا بالعربية، وإذا أدي بغير العربية وقع الأديب في ازدواجية الشخصية لأنه يسمى إذ ذاك أدبا مترجما لا أدبا مباشرا.

---

[1] مجلة المجاهد، "من حركات التأييد العالمية للجزائر المناضلة"، العددان 13–14، سبتمبر سنة 1957، ج1/ ص8. عبد المجيد عمراني، " النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954 – 1962 "، الجزائر، مطبعة دار الشهاب، دون تاريخ، ص 106.

[2] جمال البغدادي القادري، المقال السابق، ص 46.

[3] نفسه، ص46.

– إن الأدب الجزائري مهما كانت اللغة المؤدى بها، فالمضمون واحد، والعواطف متشابهة والانفعالات متماثلة، وإن اختلف اللفظ.

– إن الأدباء الجزائريين ذوي التعبير الفرنسي أمثال محمد ديب وكاتب ياسين ومولود معمري، لديهم غرابة بين الأسلوب وبين حوادث القصة لأن من المفروض أن تكون باللغة العربية لأن هذه العواطف وهذه الأخيلة خلقت لكي يعبر عنها باللغة العربية، وإبرازها بالمنطق الفرنسي يجعل لفظها متضاربا مع صميم القصة وخاصة إذا كانت مرتبطة بالمجتمع العربي الجزائري[1].

– إن الأدب الجزائري الحديث المكتوب باللغة الفرنسية له خاصية مميزة له عن غيره وهي خاصية الالتزام لأن كل الأدباء الجزائريين الشباب أمثال محمد ديب ومولود معمري ومولود فرعون وكاتب ياسين وغيرهم كلهم يلتزمون بواقع بلادهم ويصدرون عن مأساتها فيما يكتبون[2] وخير دليل على ذلك كتابات محمد ديب فهي تعطي المنحى الذي يسير فيه الأدب الجزائري.

إن ما يمكن أن يخلص إليه الباحث هو أن هناك أدبا جزائريا واحدا عبر عنه باللغة العربية تارة، وبالفرنسية تارة أخرى، وهذا الأدب شديد التماسك لأنه عاش واقعا واحدا، ويعبر عن بيئة عربية مشتركة، وصفته أنه أصيل ليس للتقليد فيه نصيب، لأنه أدب يخرج عن النطاق المحلي الضيق .

أما الأدب الجزائري المكتوب بالعربية فلا يمكن الفصل فيه لعدة أسباب أهمها أنه مبعثر وغير مطبوع، ولأنه لم يخرج إلى الوجود خاصة أدب الثورة الذي هو أهم أدب فيه، وخير سجل في ذلك صحيفة البصائر[3]

ويعد أدباؤها مدرسة خاصة وهم على ثلاث فئات:

– الشعراء كمحمد العيد آل خليفة وسحنون .

– والأدباء الفلاسفة كأحمد رضا حوحو .

– وأدباء المنابر كالإبراهيمي و التبسي .

إن هذا الأدب الأخير سواء كان شعرا أو نثرا فإنه يتميز بما يلي :

---

[1] القادري، المقال السابق، ص48.

2القادري، المقال السابق، ص48. مجلة المجاهد، "من الأدب الجزائري: فراق بقلم محمد ديب"، 15 سبتمبر 1960، ع77، ج3/ ص9.

[3] كانت تصدر سنة 1936– 1939، وقد عادت للظهور عام 1947 وتوقفت نهائيا عام 1956.

- تقليدي محافظ .
- ليس أدبا ذاتيا بل اجتماعيا .
- أدب ديني أخلاقي يهتم بالوعظ والإرشاد .

2- مشكلة الجزائر في الأدب الفرنسي:

لقد كان للثورة الجزائرية تأثير آخر على فرنسا تجلى هذا التأثير في الأدب الفرنسي ، خاصة على أدبائها ومفكريها الذين يكونون القوة الطلائعية في المجتمع: " فكلنا سمع أو قرأ عن شبكة جانسون التي جرت محاكمتها بتهمة التعاون مع جيش التحرير الجزائري وهي شبكة نظمها أساتذة فرنسيون وقاموا بنشاط إيجابي واسع النطاق بعد أن يئسوا من التصريحات والوعود التي كثيرا ما أفضى بها الساسة المحترفون، فقد قدمت هذه الشبكة عونا كبيرا للثورة وعملت على فضح جرائم الاستعمار بتوزيع مجلة سرية يهيبون من خلالها بالرأي العام إلى الضغط على الحكومة لتعترف للشعب الجزائري بحق تقرير المصير "[1].

إذن ولأول مرة في التاريخ يقف الفرنسي والجزائري جنبا إلى جنب وهما متفقان ليعلنا على ضرورة منح الشعب الجزائري حريته، وعلى أن سفك الدماء البريئة من الجانبين وسيلة دنيئة لخدمة أغراض الرأسماليين، ومنه فقد قام جان بول سارتر، ببعث رسالة إلى محامي الشبكة الآنفة الذكر يقول فيها: " إن خنق الحريات المتزايد وتعميم التنكيل وعصيان القوات العسكرية وعدم خضوعها للسلطة المدنية كل هذا يسجل تطورا في حياتنا السياسية يمكن أن نصفه دون مبالغة بالفاشستية وأن اليسار الفرنسي سيظل عاجزا عن مواجهة الموقف ما لم يوحد جهوده مع جبهة التحرير الجزائرية، القوة الوحيدة التي تكافح اليوم ضد عدو الحريات الفرنسية الذي هو عدونا المشترك "[2].

ولم يكتف سارتر بذلك فقط بل شارك في العريضة التي وقعها (مائة وواحد وعشرون) أديبا من الفرنسيين لتأييد الشباب في رفض قانون التجنيد[3].

كما رفعت عدة أصوات منددة بالمأساة الجزائرية ومطالبة بوضع حد لها وظهر ذلك جليا في المقررات التي صوت عليها المجلس الوطني للسلم ونقابات المعلمين والعمال والتي تطالب بالاعتراف للجزائريين في حق تقرير مصيرهم.

---

[1] محمد برادة، "الأدب الفرنسي ومشكلة الجزائر"، دعوة الحق، أكتوبر 1960، ع1/ص 66.

[2] برادة، نفسه، ص 67.

[3] مجلة المجاهد، "فيلسوف آخر في جبهة الحرية"، 16 ماي 1960، ع68، ج3/ 13.

إذن فكل ما سبق ذكره هو شبه إجماع شامل من جميع الطبقات وعلى اختلاف الاتجاهات بمحو عار فرنسا في الجزائر قبل فوات الأوان، فلقد شغلت المشكلة الجزائرية الأدباء والمفكرين والفنانين الفرنسيين فجعلتهم يفكرون في الخلاص، لأن ثورتهم تعارض ما يحدث في الجزائر، فكان لزاما عليهم أن يتحركوا ليحموا دولتهم، ومنه كان لهم دور إيجابي وكبير في حل الأزمة الجزائرية، لأن تخليهم عن رسالتهم القيادية وإهمالهم الدفاع عن المثل الإنسانية التي نبعث من ثورتهم المقدسة معناه اضمحلال فرنسا وتشويه قيمها وحرياتها .

إن الأزمة الجزائرية كان لها انعكاس كبير على الفكر الفرنسي خاصة وأنه اتخذ طابعا أخلاقيا إنسانيا، وهو ما جعل أدباء ومفكري فرنسا يراجعون أنفسهم ويبرهنوا أكثر من أي وقت مضى عن وعيهم وعن قدرتهم الاستمرارية في حماية القيم الإنسانية .

فمشكلة الجزائر إذن أثرت تأثيرا بالغا حتى على أدباء ومفكري فرنسا، مما جعلهم يحاولون تشخيص الداء لتحضير الدواء، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الاستعمار الفرنسي قربت نهايته، وإلا لما تدخلت القوة الطلائعية في المجتمع الفرنسي منددة ومطالبة المسئولين جميعهم وعلى اختلاف مراتبهم بالإسراع إلى إيجاد حل عادل وعاجل قبل أن تفقد الثورة الفرنسية قيمتها وتشوه صورتها، فالمشكلة الجزائرية تجاوزت الحدود فأصبحت مسألة أخلاقية إنسانية وعليه صرح رجال الفكر في فرنسا وبتاريخ 03-10-1960 بما يلي:

– نحترم رفض التجنيد وحمل السلاح ضد الشعب الجزائري ونرى أن هذا العمل له مايبرره .

– نحترم سلوك الفرنسيين الذين يرون أن واجبهم يقتضي منهم إعانة وحماية الجزائريين المضطهدين باسم الشعب الفرنسي ونرى أن هذا العمل له ما يبرره.

– إن قضية الشعب الجزائري التي تساهم بكيفية حاسمة في القضاء على النظام الاستعماري هي قضية جميع الرجال الأحرار[1].

---

[1] جان بول سارتر، "عارنا في الجزائر"، ترجمة سهل إدريس(وقرينته)عائدة, دعوة الحق, جانفي1959، ع4/ص86. محمد برادة، دعوة الحق ، العدد السابق، ص 67. مجلة المجاهد، "فرنسيون أمام المحكمة"، 19 سبتمبر 1960، ع77/ج3/ص2.

لقد حللت مجلة (دعوة الحق) الآثار التي أحدثتها محاكمة (شبكة جنسون) في الرأي العام الفرنسي وتوصلت إلى أن أهم نتائج هذه المحاكمة أنها حسمت المواقف الفرنسية إزاء حرب الجزائر ، فلم تعد هناك مواقف وسط، فقد وجد الشعب الفرنسي نفسه أمام معسكرين، معسكر الرجعيين العسكريين الذي يريد استمرار الحرب حتى يتم إبادة الشعب الجزائري نهائيا وعن بكرة أبيهم، ومعسكر الأحرار الذي تمثله هذه الطليعة من الشبان المقدمين للمحاكمة .

وقد استمرت المحاكمة أكثر من شهر وهزت الرأي العام الأروبي كله وأحدثت ردود فعل عديدة في الأوساط اليسارية واليمينية في داخل فرنسا، ولأول مرة و منذ قيام الثورة الجزائرية تتفق المنظمات اليسارية الفرنسية على توحيد جهودها ونبذ خلافاتها والعمل بكل قواها لغرض السلم في الجزائر[1].

خاتمـة:

ساهم أدباء وشعراء الجزائر مساهمة فعالة في إنجاح الثورة الجزائرية كغيرهم من الوسائل المادية الأخرى المتمثلة في السلاح والمؤونة وغيرهما، بل قد لا يكون الإنسان مبالغا إن قال أنهم نافسوا قادة الثورة العسكريين والسياسيين، فكان دورهم أساسيا في إنجاح هذه الأخيرة وفرضها منطق ضرورة مراجعة فرنسا نفسها في اعترافها بحق الشعب الجزائري في حق تقرير مصيره ولأن ثورتها تقر بذلك, كما عمل هؤلاء الأدباء والشعراء كأمثال مفدي زكرياء وصالح الخرفي ومالك بن نبي وآسيا جبار وكاتب ياسين ومولود فرعون ومحمد ديب والطاهر وطار محمد العيد آل خليفة وغيرهم, كل ذلك من أجل إبلاغ القضية الجزائرية إلى الرأي العام والعالمي لأنها قضية عادلة يساندها كل أحرار العالم وخير دليل على ذلك شبكة جونسون التي جسدت قول الله تعالى﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنَ اَهْلِهَا﴾ يوسف:26, وكذا العريضة الموقعة من قبل سارتر ومائة وواحد وعشرون أديبا فرنسيا من أجل تأييد الشباب في رفض التجنيد.

---

[1] صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة، ص106. مجلة المجاهد، "الأدب الفرنسي في خدمة الاستعمار"، 7 سبتمبر 1959، ع50/ج2/ص3. مجلة المجاهد، "فرنسيون أحرار يسلكون الطريق الصحيح لمقاومة الحرب الاستعمارية "، 22 أوت 1960، ع75/ج3/ص10. مجلة المجاهد، "ثورة الجزائر في التآليف الأوروبية"، 1 نوفمبر 1961، ع106/ج4/ص28.

إن مجلة دعوة الحق المغربية ومن خلال فتح صفحاتها للأدباء والشعراء الجزائريين وغير الجزائريين كانت تريد أن تساهم في تعبئة وتجنيد الرأي العام الجزائري أولا ثم العربي والعالمي ثانيا من أجل نصرة القضية الجزائرية ولأن الاستعمار الفرنسي كان استعمارا استيطانيا ذا طابع صليبي حاقد كان لابد أن تتضافر الجهود من أجل دحره والقضاء عليه وأن الشعب الفرنسي الذي كان يقف في البداية مع الحرب استفاق في النهاية وعرف أن هذه الحرب لا يستفيد منها سوى كمشة من المعمرين الأوروبيين في الجزائر والرأسمالية الفرنسية والطبقة الحاكمة وقد ظهرت يقظة الضمير الفرنسي على يد مجموعة من المفكرين اليساريين الذين تزعمهم فرانسيس جونسون وجان بول سارتر حيث قادوا الشعب الفرنسي إلى الحقيقة ونظموا حملات المساندة المادية والمعنوية لحرب التحرير الجزائرية.

قائمة المصادر والمراجع:

I- المصادر:

1- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

2- مجلة دعوة الحق, مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، تصدرها وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، مجموعة من الأعداد فيما بين (1957-1962).

II- المراجع:

1- العقاد (صلاح)، الجزائر المعاصرة، معهد الدراسات العربية العالية, القاهرة 1963

2- عمراني (عبد المجيد)، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954- 1962, مطبعة دار الشهاب, قسنطينة، الجزائر، د.ت.ط.

III- المجلات والدوريات:

1- بشيشي (الأمين)، "دور الإعلام في معركة التحرير"، الثقافة (عدد خاص)، السنة التاسعة عشر، العدد 104، سبتمبر-أكتوبر 1994.

2- بلغيث (محمد الأمين)، "موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب والسجون والمحتشدات أثناء الثورة التحريرية "، المصادر، صيف 2001، العدد5.

3- مجلة المجاهد, اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، بعض الأعداد الصادرة فيما بين (1957-1962)